

اسم المادة: من بيعة العقبة إلى أحد

من سلسلة: السيرة (بصائر١)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: من بيعة العقبة إلى أحد
من سلسلة: السيرة (بصائر١)
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه، الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد. في غرفة الهداية الدعوية مع دورة "بصائر" في موقع الطريق إلى الله لا زلنا مع سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –صلى الله عليه وسلم– يعرض نفسه على القبائل

وقفنا في الحلقة السابقة عند عرض النبي –صلى الله عليه وسلم– نفسه على القبائل:

عرض النبي –صلى الله عليه وسلم– نفسه على القبائل ولم يُسلِم مع النبي –صلى الله عليه وسلم– أحد، ولما عرض نفسه على الطائف آذوه وأدموه ثم عاد إلى المدينة فدخل في جوار مُطعم بن عدي وظلّ النبي –صلى الله عليه وسلم– يحاول أن يجد أرضًا جديدة للدعوة إلى الله يحاول أن يبحث عمن ينصره؛ عمن يأويه ليبلغ رسالة الله –سبحانه وتعالى–؛ فإنه –صلى الله عليه وسلم– لا يستطيع وحده.

وهذه فائدة ينبغي أن نتعلمها؛ موسى –عليه السلام– قال: "وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي" طه٢٩:٣١، النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يبحث عمن يأويه، عمن ينصره. فإنك لن تستطيع وحدك، نعم تحتاج إلى إخوانك، نعم تحتاج إلى التكامل، تحتاج إلى كل طاقة تُوَظّف في طاعة الله.

إسلام ستة نفر من الأوس

النبي –صلى الله عليه وسلم– وجد ٦ من الشباب أعمارهم بين بضعة عشر وفوق العشرين بقليل –يعني ١٥سنة، ١٦سنة، ١٧سنة– هؤلاء عرض عليهم النبي –صلى الله عليه وسلم– الإسلام، عرض عليهم أنه رسول من عند الله، عرض عليهم أنه رسول من إله يملك السماوات والأرض، عرض عليهم أن يُسلِموا ويؤمنوا به وأن يأووه وأن يحموه وأن ينصروه، أسلم هؤلاء الشباب. عمر النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه اللحظات كان ٥٠ عامًا! ٥٠ سنة!

مرت ١٠ سنين من بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ وأسلم معه ٦ نفر من الأوس، ثم بايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– وآمنوا معه وأسلموا معه ثم انطلقوا في العام الآخر ظلَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– يعرض نفسه على القبائل مرة أخرى؛ عرض نفسه على بنو شيبان



فقالوا: نحميك مما نحمي منه نساءنا وأبناءنا إلا الفرس. فردَّ عليهم هذه البيعة وقال: "لا، ما جانبتم الصواب إذ حدثتم بالصدق لكن هذا الدين لا ينصره إلا من أَلَمَّ به من جميع جوانبه" فرفض المهادنة، ورفض البيعة المشروطة في هذا الوقت.

بيعة العقبة الأولى

ثم ظل النبي –صلى الله عليه وسلم– يعرض نفسه على القبائل حتى قابل هؤلاء النفر الستة الذين بايعهم في العام الماضي، وجدهم مرة أخرى ولكن كان معهم مجموعة من الرجال فكانوا بضعة عشر رجلًا فبايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– "بيعة العقبة الأولى" عند العقبة في مكان الحج، بايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بيعة تسمى "بيعة النساء". بايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– على ألا يُشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا ولا يأتوا ببهتان ولا يعصوا النبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم انطلق هؤلاء النفر والنبي –صلى الله عليه وسلم– ظلَ في مكة، غير أنه بعث معهم مُعلما، بعث معهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم ذلك الرجل الذي نزل فيه العتاب "عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى" عبس١:٢، ذلك الرجل الذي استخلفه النبي –صلى الله عليه وسلم– يومًا على أصحابه.

انتشار الدعوة في أرجاء يثرب

بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم يعلمون هؤلاء القرءان ويمهدون الأرض لهجرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، بعثهم يدعون الناس إلى الله وبالفعل كان مصعب بن عمير سفير خير، فما من دار من دور الأنصار – يعني ما من حي من أحياء الأنصار– إلا وفي فترة وجيزة في خلال سنة كان فيها رجل مسلم. رجل مسلم في كل حي، وكان هذا انتصارًا عظيمًا أنه في وقت بسيط تنتشر هذه الدعوة في أرجاء قبيلتي الأوس والخزرج.

بيعة العقبة الثانية

وبالفعل بدأ الناس يدخلون واحدًا وراء الآخر في دين النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ في دين الإسلام، ثم في السنة السادسة وكانت هذه السنة السادسة عشر من بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– أتى ٧٠ رجلاً، كانوا بضعة رجال: ٦ نفر ثم كانوا بضعة عشر رجل ثم في خلال سنة لما هاجر معهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم معلمين عادوا ٧٠ رجلاً وامرأة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضًا في موسم الحج.

شوفوا يا جماعة ميعاد النبي –صلى الله عليه وسلم– أعطى ميعاد مكانش هناك وقتها موبايلات ولا أوقات أو وسائل اتصالات، بعد سنة عادوا في نفس الموعد، من غير تأكيد، ومن غير إنه هو: هابعت لك.. هأكد لك.. في نفس الموعد اللي اتفقوا عليه بايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– وكانت هذه البيعة تسمى "بيعة الحرب.. بيعة العقبة الثانية".

بايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– على الحرب، وهذا إيذان بإقامة دولة؛ فلا تقوم دولة إلا بالقوة، بايعهم النبي –صلى الله عليه وسلم– على السمع والطاعة، وهذا السمع والطاعة كانوا هم أصلا مبايعون، كانوا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– مطيعين لأمر النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكنها كانت بيعة مختلفة؛ كانت بيعة على السمع والطاعة في العسر واليسر، على الإنفاق في كل وقت وحين، على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى ألا ننازع الأمر أهله؛ أي على ألا ينازعوا النبي –صلى الله عليه وسلم– في سلطته، فكانت هذه البيعة شبيهة بالبيعة السياسية؛ بيعة على السمع والطاعة في كل وقت، بيعة على الإنفاق والنصرة في العسر واليسر.



بيعة على ألا ننازع الأمر أهله، بيعة على أن يقولوا كلمة الحق لا يخافوا من قومهم ولا يخافوا من العرب ولا يخافوا من العجم؛ لا يخافوا من الفرس، بيعةٌ تسمى "بيعة الحرب". وكان هذا إيذان ببناء دولة الإسلام! ثم عاد هؤلاء ووعدهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن يستمروا على هذه البيعة وهذا العقد وهذا الميثاق الذي بينه وبينهم حتى يأتيهم، ثم أذن الله –سبحانه وتعالى– إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– بالهجرة.

الهجرة من مكة إلى المدينة

الحال في مكة كان كما هو، إلا أنه حدث حادث غريب وعجيب؛ هذا الحادث أن مكة فجأة اجتمعت في "دار الندوة" وبدأت الشورى بين أهل مكة؛ بين كبراء مكة وسادتها: ماذا نفعل في محمد، وقد أصبح أمره منتشر بين الناس؟ ماذا نفعل في هذا النبي أو في هذه الدعوة الجديدة؟ ماذا نفعل في هذا الرجل الذي يُسفِّه الآلهة؟ والذي يُصِر على أن يصلي ويظهرنا بأننا سفهاء العقل؟ يُظهرنا بأننا ضعفاء العقل، يُظهرنا بأننا لا نفقه شيء قليلو الحكمة، فهو يعبد إله يقول كلامًا حكيمًا ونحن نقول كلامًا لا يسمعنا فيه أحد.

فقررت قريش أن تأتي من كل قبيلة برجل ثم يقتلوا النبي –صلى الله عليه وسلم– فيتفرق دمه بين القبائل، وكانت هذه المكيدة وهذا المكر بالنبي –صلى الله عليه وسلم– سبب من أسباب إيذان الله –سبحانه وتعالى– بهجرة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أذن النبي –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه بالخروج من مكة إلى الأرض الجديدة التي أسلم فيها هؤلاء السبعين والذين بايعوا فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– على أن ينصروا هذا الدين، وعلى أن يحموه وعلى أن يأووه وعلى أن يدافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم، على أن يدافعوا عنه كما يدافعون عن نسائهم، فأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه بالهجرة، فهاجر جموع كثيرة من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يبق مع النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب ومجموعة ضعفاء من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يستطيعوا الهجرة.

ثم أذن الله –سبحانه وتعالى– للنبي –صلى الله عليه وسلم– بالهجرة؛ فهاجر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وجَهَّز وتجهز وأَعَدَ كل الأسباب من استخفاء ومن تغييرٍ في الطريق ومن تجهيز للدليل الذي يقوده إلى يثرب، ومن ترتيب للطعام والشراب.

أعدَ النبي –صلى الله عليه وسلم– أسبابًا كثيرة، وخرج النبي –صلى الله عليه وسلم– مُستَخْفيًا في حكمة، وعَكَس الطريق؛ فبدلاً من أن يذهب في الطريق مباشرة إلى يثرب خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الاتجاه الآخر، ومكث في الجبل ثلاثة أيام حتى تستقر قريش وتيأس من البحث عنه؛ ثم خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– مهاجرًا إلى هذا المجتمع الجديد.

بناء الدولة الإسلامية

وبالفعل مرّت أيام طويلة حتى وصل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع الصديق إلى هذه المدينة الجديدة، وكانت هذه المرحلة مرحلةٌ جديدة في الصراع بين الحق والباطل.. مرحلة جديدة في بناء دولة الإسلام.. مرحلة جديدة في بناء أعظم حضارة مرّت على مر التاريخ.. مرحلة جديدة في تغيير هذا العالم.

بُعِثَ النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأخيرًا استطاع النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يجتمع مع الناس في الجهر؛ فصلى النبي –صلى الله عليه وسلم– أول ما نزل في بني عمرو بن عوف؛ الجمعة.. أخيرًا اجتمع أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– في مكان واحد لِيصَلُّون غير مُستخفين.. أخيرًا يستطيع النبي –صلى الله عليه وسلم– أن ينادي بين أظهرهم في أمان!



واجه النبي –صلى الله عليه وسلم– في المجتمع الجديد سلطة قديمة رفضت أن يكون الأمر للنبي –صلى الله عليه وسلم–؛ وهو عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يُعَد قائدًا في قومه وكانوا يعدونه لاستقبال السلطة، فإذا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– يهاجر إلى هذه المدينة ويبايعه الناس ويفرح الناس به.

واجه النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه السلطة القديمة التي رفضت الإذعان لكلام الله وإلى كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وسلطته؛ واجه النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا المجتمع الجديد؛ اليهود "بنو النضير" و"بنو قينقاع" و"بنو قريظة" وقوتهم الاقتصادية، فاليهود كانوا أهل قوة اقتصادية شديدة، وكانوا يتحكمون في الأسواق، وكانوا يحتكرون السلع، وكانوا يتعاملون بالربا، اليهود هم اليهود على مر العصور.

واجه النبي –صلى الله عليه وسلم– المشركون الذين لم يُسلِموا في هذا المجتمع الجديد؛ واجه النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا المجتمع الجديد الذي لم يكن يعرف شيئًا عن أحكام الإسلام؛ لم يكن كثيرُ معرفة بالله ولا كثيرُ معرفة برسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

مجتمع المدينة الجديد

وكان أول ما بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– به: "أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ"[1]. فبدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا المجتمع الجديد بالأخلاق، ونزل قول الله –عز وجل–: "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ" المطففين١:٣، فنزل قول الله –عز وجل– بالعدل؛ ونزل حُكم الله –عز وجل– أن المسلمين ينبغي عليهم أن يحكموا بالعدل، وألا يطففوا في المكيال والميزان، وألا يتعاملوا مع الناس بمكيالين، وكان أول ما فعله النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا المجتمع الجديد وفي هذا البناء الحضاري الجديد؛ في بناء دولة الإسلام.

انظروا إلى هذه المراحل من دعوة سرية إلى دعوة جهرية، من تربية في الدعوة السرية من "دار الأرقم بن أبي الأرقم" إلى دعوة مُعلنة عامة يعرفها القاصي والداني، إلى دولة أقامها النبي –صلى الله عليه وسلم– بناءً راسخًا. كان هذا التوسع الدعوي.. كيف انتقلت الدعوة من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة؟

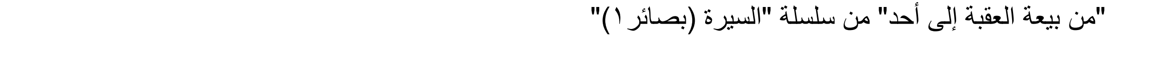
انظروا كيف أقام النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الدولة؟

مجتمع المدينة يحتاج إلى حلقات لكننا لأننا التزمنا أن ننتهي في هذه الحلقات من ملخص سريع لسيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يعيش في هذه الأرض مجتمع يقتل بعضه بعضًا، مجتمع فيه تنازع وفيه اختلاف؛ الأوس أعداء للخزرج! آخى النبي –صلى الله عليه وسلم– أول ما نزل بين المهاجرين عمومًا وبين الأنصار، فجعل بينهم علاقة قوية هي علاقة الأخوة، وأصبح النبي –صلى الله عليه وسلم– يُحدّث الناس في حدود هذه العلاقة: "لَا يَبِعِ الرَّجُلُ علَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبْ علَى خِطْبَةِ أَخِيهِ"[2]، المسلمون إخوان؛ "المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ"[3].

آخى النبي –صلى الله عليه وسلم– بينهم وكانت علاقة قوية جدًا بين المجتمع الجديد "المهاجرين" الذين ضحوا بأموالهم وتركوا كل شيء وبين المجتمع الجديد "الأنصار" الذين آووا ونصروا، والذين استقبلوهم، ودافعوا عنهم بأموالهم وأرواحهم.

---

[1] صححه الألباني
[2] صحيح مسلم
[3] صحيح مسلم





إنشاء البيئة الإيمانية

ثم بنى النبي –صلى الله عليه وسلم– أول ما نزل مسجدًا في قباء، وبنى النبي –صلى الله عليه وسلم– لما وصل إلى المكان الذي سيستقر فيه "المسجد النبوي" مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكانت هذه بيئة الإيمان العالمية، بيئة الإيمان التي يأرز إليها الإيمان ويرجع إليها الإيمان؛ مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

في هذه البيئة الحضارية بنى النبي –صلى الله عليه وسلم– المسجد، قبل أن يفكر النبي –صلى الله عليه وسلم– أين سينام، قبل أن يفكر النبي –صلى الله عليه وسلم– كيف سيأكل وكيف سيأكل أصحابه، قبل أن يفكر النبي –صلى الله عليه وسلم– ما العمل في هذه المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ فكر النبي –صلى الله عليه وسلم– في دين الناس؛ كيف سيصلي الناس؟ وأين سيصلى الناس؟

فكانت أول خطوة؛ تعظيم الصلاة، الله –سبحانه وتعالى– قال: "الذين إنْ مكْنَاهم في الأرض" أي الصالحون "الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ" الحج:٤١، فكان أول ما فعله النبي –صلى الله عليه وسلم– أن أقام الصلاة وعَظَّم الصلاة فجعل الصلاة لها قيمة عالية حتى إن أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– كانوا يعدون من لا يصلي أو من يتخلف عن صلاة الجماعة منافقًا نفاقًا أكبر.

بنى النبي –صلى الله عليه وسلم– المسجد هذه البيئة الإيمانية ليأرز إليها الناس وليأتي إليها الناس؛ فكل الناس يحتاج إلى بيئة للإيمان. ثم آخى النبي –صلى الله عليه وسلم– بين المهاجرين والأنصار. ثم عقد النبي –صلى الله عليه وسلم– معاهدة بينه وبين اليهود؛ هذه المعاهدة معاهدة دفاع مشترك بين النبي –صلى الله عليه وسلم– وبين اليهود في المدينة بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة على أن يحموا مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم–. ثم اجتهد النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة إلى الله، اجتهد النبي –صلى الله عليه وسلم– في تعليم الناس أمر الله.

عقد النبي –صلى الله عليه وسلم– المجالس وراء المجالس، ذهب النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى الناس، أمر أصحابه بحسن الخلق.

في هذه الفترة؛ فترة التأسيس لهذه الدولة التي كان فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– مشغول بأحوال المسلمين، كان يصعد على جبل أحد مع أبي بكر وعمر يسمرون؛ أي يسهرون في أحوال المسلمين.

اليهود وبئر الماء

احتكرت اليهود الماء فمنعت الماء من المسلمين؛ وكان لليهود آبار، المسلمون في ضعف ليست عندهم قوة اقتصادية، اليهود يملكون السوق، اجتهد التجار من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– في أن يذهبوا إلى السوق ليبيعوا ويشتروا حتى تكون لهم قوة اقتصادية، ثم عرض عثمان بن عفان على اليهودي رومة أن يشتري منه البئر أو يشتري جزءًا من البئر، وكان اليهود يبيعون الماء للمسلمين بأثمان باهظة؛ فوافق هذا الرجل مقابل مبلغ كبير جدًا، اشترى عثمان نصف البئر فكان البئر أيام لعثمان وأيام لليهودي.

انظروا إلى هذه الأمثلة الرائعة؛ عثمان بن عفان جعل يومه لله وتصدق على المسلمين بماله! فلم يكن يأخذ منهم مالاً ولا درهمًا ولا دينارًا ولا أي شيء في مقابل هذا الماء، فكان الناس يسقون في يوم عثمان ولا يسقون في يوم اليهودي، حتى إن اليهود أنفسهم أصبحوا يأتون للبئر يأخذون الماء في يوم عثمان، فجاء اليهودي وقال: يا عثمان اشتر النصف الآخر، فاشترى النصف الآخر بثمن أضعاف ما اشتراه في النصف الأول، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: من اشترى بئر رومة فهو في الجنة.



تأسيس قواعد المجتمع الجديد

ظلّ النبي –صلى الله عليه وسلم– يؤسس هذه الدولة وكان أول ما أسس؛ أسس النبي –صلى الله عليه وسلم– علاقة الناس بربهم، ثم العلاقة المجتمعية القوية: التماسك؛ التماسك بين المؤمنين "مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ –المؤمنون ذمتهم واحدة، تتكافأ دماؤهم؛ مفيش دم مسلم أغلى من دم مسلم، يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم– إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى"[٤] إذا عضو اشتكى؛ إذا إصبع من أصابع اليد أصابه التهاب، مرض، الجسم كله يسخن، الجسم كله يصيبه الحمى مؤازرة ودفاعًا عن هذا الإصبع.

أرسى النبي –صلى الله عليه وسلم– قواعد المجتمع الجديد المجتمع المتماسك؛ المجتمع الذي بني على الدين.. الذي بُني على تعظيم دين الله الذي بني على تعظيم الصلاة، الذي بُني على العلاقة القوية بين الناس. هذا المجتمع الجديد الذي أرسى النبي –صلى الله عليه وسلم– دعائمه لم تتركه قريش في حاله ولم تتركه قبائل المشركين في حاله. إنما قرروا غزوه وقرروا أن يهجموا عليه مرة أخرى، ودخلت الدعوة في مرحلة جديدة من مراحل الصراع ألا وهي "مرحلة الجهاد"؛ جهاد الطلب، وجهاد الدفع.

بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– في السنة الثانية وكأنه –صلى الله عليه وسلم– لم يرتاح؛ عاش عمره كله من أول ما بُعثْ –صلى الله عليه وسلم– ينتقل من طاعة إلى طاعة ومن بذل إلى تضحية إلى صبر، عاش يُنَفِّذ أمر الله. يطيع الله يجتهد غاية الاجتهاد في رضا الله –سبحانه وتعالى–.

فرض العبادات

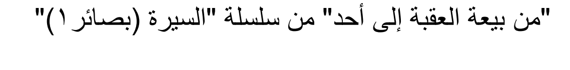
في السنة الثانية فُرِض صيام رمضان، ثم فُرضت زكاة الفطر، ثم صلى النبي –صلى الله عليه وسلم– لأول مرة في حياته بالناس صلاة العيد. اجتمع المسلمون من كل مكان "الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر" ارتجت المدينة بصوت "الله أكبر"، اجتمع الناس في مصلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، وخرجت النساء والأطفال يشهدن الخير مع النبي –صلى الله عليه وسلم–.

غزوة بدر الكبرى

ثم وفي هذه السنة كانت "غزوة بدر الكبرى" هذه الغزوة التي نزلت فيها آيات "يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" الأنفال:٤١، خرجت مكة بعير لها من قريش، هذه الأموال التي اغتصبوها من المسلمين بعدما هاجروا مع النبي –صلى الله عليه وسلم–. خرجت قوافل مكة مرة أخرى إلى الشام تجارة غير أنها هذه المرة خرجت بأموال منهوبة، إنها أموال أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، إنها أموال جابر بن عبد الله الذي أخذوا منه ٩ جمال، إنها أموال الصديق، إنها أموال حاطب، إنها أموال أبي بكر، إنها أموال عثمان وطلحة، إنها أموال الزبير وعمر.

عادت قريش بعدما هاجر النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه على دورهم وعلى أموالهم فأخذوها ثم خرجت عيرٌ من قريش.. قافلة خرجت من قريش في تجارة تجاه الشام؛ علم أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– أن أموالهم المنهوبة خرجت في تجارة إلى الشام، خرجوا يبيعونها ويشترون بها أموال؛ فخرجوا يأخذوا هذه الأموال، وعلمت قريش أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سيقطع عليهم هذا الطريق وأنه لن يسمح بهذا الظلم أن يستمر، وأنه سيعدو على هذه القافلة؛ فأعدت قريش جيشًا عظيمًا قوامه ألف رجل، ولم يكن للنبي –صلى الله عليه وسلم– جيشًا بمثل هذه القوة ولا هذا العتاد؛ فلم يكن مع النبي –صلى الله عليه وسلم– يستعد للقتال إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجل، يعني

[٤] صحيح مسلم





تقريبًا ٣١٤ أو ٣١٥ هذه كانت عدة أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- -يعني تقريبا مسجد صغير من مساجدنا ممكن يجتمع فيه ٣٠٠ رجل، هؤلاء هم المسلمون!

والتقى الجمعان "يوم الفرقان" وبالأسباب المادية إذا حسبها الناس يُنصَر المشركون، غير أنهم نسوا أن لله -سبحانه وتعالى- جنود في كل مكان، نسوا أنه رسول من عند الله، نسوا أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، نسوا أن الله على كل شيء قدير، وأن هؤلاء هم جنود الله، وأن هؤلاء هم أولياء الله، نسوا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- منصور.

وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- في أرض المعركة يرفع يديه إلى السماء حتى ظهر بياض إبطيه، وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- يُثني على ربه في هذا الوقت، هل هذا وقت ثناء؟! نعم وقت الثناء؛ فما ضحى النبي -صلى الله عليه وسلم- وما هاجر وما ابتعد وما ترك وطنه لأجل هذه الدين إلا لرضى الله -سبحانه وتعالى- إلا ليُثني على ربه، نعم.. ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- أحب بقاع الأرض إلى الله، ترك هذا الوطن الذي نشأ فيه وترعرع فيه ترك هذه البيئة التي كبر فيها وأصبح فيها صاحب مال ومكانة لأجل دينه فِيُضّحَّى للدين بكل شيء، يُضَحَّى لله بكل شيء ولا يُضَحَّى بالله لأجل شيء؛ يُضَّحَّى لله بالوطن وَيْضّحَى لله بالمال ويُضَحَى لله بالنفس، يُضَحَّى لله بالزوجة والأولاد، يُضّحَّى لله بكل شيء والله لا يُضَحَّى به لشيء.

ضَحَّى النبي -صلى الله عليه وسلم- ووقف يُثني على ربه ليُعلنها صراحة أنه ما هاجر إلا لتكون كلمة الله هي العليا، ما هاجر إلا ليُرضي الرحمن الرحيم، ما هاجر إلا لَيُرضي العزيز الكريم؛ ما هاجر إلا لِيُرضي الجبار القوي؛ ما هاجر إلا لله!

وقف يثني على ربه ثم التقى الجمعان وَأنفَلَ الله -سبحانه وتعالى- النبي -صلى الله عليه وسلم- أموال المشركين، وأنفَلَ الله -سبحانه وتعالى- النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه المعركة، فانتصر النبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنون على المشركين وغنموا غنائم كثيرة، انتصارًا ساحقًا! هُزِم فيه المشركون. وتعجبت قريش كيف ينتصر ثلاثمائة رجل على ألف رجل؟! هؤلاء معهم عُدة وعتاد الألف، وهؤلاء ليس معهم إلا فرسين والباقي يمشون على أرجلهم، هؤلاء من صناديد القوة والحرب، وهؤلاء لم يتدربوا من قبل على الحرب، كيف انتصر هؤلاء؟! إنها إرادة الله؛ الله -سبحانه وتعالى- الذي ينصر جنده ويُعز أولياءه، انتصر النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة بدر انتصارًا ساحقا ثم تتابعت الأحداث.

اختلاف الصحابة على الغنائم

عاد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة منتصرًا، وحذر النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه من الدنيا، حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من أن ينظروا إلى الغنائم والأنفال؛ لما اختلف أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فيمن يستحق هذه الغنائم نزل تشريع الغنائم، قال بعضهم: نحن حمينا النبي -صلى الله عليه وسلم- في أثناء المعركة، وقال بعضهم: نحن هجمنا على المشركين وقتلناهم، قال بعضهم: نحن الذين حمينا ظهوركم، نحن الذين كنا صمام الأمان في هذه المعركة، فنزل قول الله -عز وجل-: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ" الأنفال: ١

فحذرهم الله -سبحانه وتعالى- من أن يلتفتوا إلى الدنيا، حذرهم الله -سبحانه وتعالى- من أن ينظروا إلى الدنيا ومن أن يختلفوا على الدنيا، حذرهم الله -سبحانه وتعالى- من أن يريدوا هذه الدنيا.



النبي –صلى الله عليه وسلم– معلمًا ومربيًا وداعيًا

وانطلق النبي –صلى الله عليه وسلم– معلمًا ومربيًا وداعيًا إلى الله يُعَلّم أصحابه ويربيهم ويدعوهم إلى الله غير أن اليهود كالعادة نقضوا العهود واجتهدوا في نقض العهود، واجتهدوا في تأليب المشركين على النبي –صلى الله عليه وسلم–. أرسل النبي –صلى الله عليه وسلم– عدة سرايا إلى القبائل المجاورة للمدينة مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم– كان عليها مجموعة من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–.

غزوة أُحُد

ثم في السنة الثالثة من هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، كانت هذه سنة بعد **١٦** سنة من بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ **١٣** سنة في مكة ثم ثلاث سنين في مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم–، النبي –صلى الله عليه وسلم– عنده **٥٣** سنة، خرجت قريش مرة أخرى في ثلاثة آلاف مقاتل في "غزوة أحد" هذه الغزوة العظيمة رأى فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– رؤية، ثم عقد النبي –صلى الله عليه وسلم– المشورة مع أصحابه أن قريش أعدت ثلاثة آلاف مقاتل للهجوم على مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم–. وجاءت الأخبار بعد هذه الرؤية إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– أن جيشًا تحرك من مكة، وهل كان للنبي –صلى الله عليه وسلم– عيون؟ هل كانت له مخابرات؟ هل كانت له أناس يأتونه بالأخبار من بعيد؟ نعم.. كان –صلى الله عليه وسلم– حكيمًا؛ فكان يدير شئون الدولة وكان لا يغفل عن الدعوة.

مراحل انتقال دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–

مراحل انتقال دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت مراحل توسعية وليست مراحل استبدالية؛ فلما بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– بالتربية في دار الأرقم بن أبي الأرقم ثم انتقل في مرحلة جديدة إلى الدعوة الجهرية؛ ثم انتقل إلى مرحلة الدولة كانت في كل مرحلة توسعية المرحلة القديمة مستمرة ومصحوبة؛ فلم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– التربية في أثناء الدعوة ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الدعوة في أثناء الدولة، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الدولة في أثناء الجهاد، فكان –صلى الله عليه وسلم– رئيسًا ومعلمًا وداعيًا ونبيًا رسولًا –صلى الله عليه وسلم–.

في غزوة أحد حدثت أحداث عظيمة، وهذا ما سنعرفه في الحلقة القادمة.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.. وجزاكم الله خيرًا.

